أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل
خلال الفترة الحديثة

شاطومحمد ،
قسم العلوم الإنسانية ،
جامعة معسكر.

مقـدمة

تعدّ المدينة تاريخياً وحدة تشكيلية قديمة عرفها المجتمع الإنساني منذ زمن يزيد عن خمسة آلاف سنة، فهي إذن أصيلة ويؤكد هذه الأصالة كل من تناولها بالدراسة. فالمدينة تعدّ من أعظم منجزات الإنسان الحضارية، فقد عرفها الإنسان المدني منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وعليه ليست المدينة بخبرة جديدة من التفكير الإنساني. ولقد عرفت حضارات الشرق القديم من سومرية وفرعونية أعرق المدن في هذا العالم، كما عرفتها الحضارات اليونانية والرومانية كذلك **(الموسوي مصطفى عباس، 1982: 15)**.

إن الحديث عن المدن باعتبارها تجمعات سكانية معتبرة الكثافة مقارنة بغيرها - متنوعة الأنشطة، محط رحال التجار والحرفيين أو طلبة العلم - يحمل في طياته ضرورة التمييز بينها من حيث الأهمية التاريخية والاقتصادية والثقافية.

ونحن بصدد الحديث عن المدن التجارية في الجزائر عبر العصور ارتأينا التكلم عن أهم مدننا بالجنوب الغربي التي لعبت دوراً بارزاً في تجارة القوافل الصحراوية بين شمال الصحراء وبلاد السودان. إنها مدينة تمنطيط خلال العصر الحديث.

التعريف بتمنطيط:

لغة

كلمة تمنطيط مركبة من اسمين أمازيغيين هما: أتما: وتعني الحاجب.

تيط: وتعني العين.

التعريف بتمنطيط جغرافياً:

تقع مدينة تمنطيط في الجنوب الغربي للجزائر ضمن إقليم توات ولاية أدرار في المجموعة الصحراوية التالية: ـ العرق الغربي الكبير من الجهة الشمالية

ـ هضبة تادميت من الجهة الشمالية الشرقية

ـ عرق الشاش من الناحية الغربية

ـ سهل تيديكلت من الجهة الجنوبية الشرقية

ـ هضبة تنزروفت من الجهة الجنوبية

ذكر المؤرخين لمدينة تمنطيط :

تمنطيط مدينة عريقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ضمن إقليم توات الشهير في جنوبنا الغربي؛ وقد ورد ذكرها في العصر الحديث لدى بعض من كتب عن المنطقة ومنهم صاحب كتاب " القول البسيط في أخبار تمنطيط " [**هو محمد بن بابا حيدة من فقهاء توات في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد عام 1184هـ بمدينة تمنطيط**] الذي وصفها بقوله: "... فاعلم أن مدينة **تمنطيط** اسم لمدينة في **إقليم توات**، ولقد اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات، فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان، تنصت لسعرها الجيران، ويرد بها الظمآن..ولا يقنع ذوسلعة عرضها إلا بسعرها..."**(بن بابا حيدة محمد، 1977: 14)**.

ذكر المؤرخين لإقليم توات:

عبر تاريخه الطويل حطّ الرّحال بهذا الإقليم العديد من المؤرخين والرّحالة

أمثال ابن بطوطة خلال القرن 13م الذي قال عنه: " وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات.... **"(ابن بطوطة، 1980: 699، 700).**

ويذكره أبو سالم العياشي خلال القرن 17م بقوله: " ودخلنا أول عمالة توات....وأقمنا بها ستة أيام، وبعنا بها خيلنا، وما ضعف من إبلنا، واشترينا ما نحتاج من التمر." **(العياشي أبو سالم، 1977: 20)**، أمّا ابن خلدون فإنّه يقول: " وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين.."

أصل تسمية توات:

إنّ تسمية المنطقة بتوات يقول عنه المؤرخ الفقيه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنطيطي في كتابه "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" إن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود لعهد الدولة الموحدية فملوك هاته الدولة ما عرفوا هاته الأرض إلّا بكونها منطقة مليئة بالخيرات فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات ومن يومها غلب عليها الوصف فصار أهلها يعرفون بأهل الأتوات ثم سقطت أداة التعريف فأصبحت توات. وهناك رواية أخرى لمولاي أحمد الإدريسي الطاهري الذي يرى أنّ تسمية توات هي من مواتتها وصلاحية أرضها للعباد، هناك رأي ثالث يرى ببربريتها بحكم أنّ تسميات قصورها بربرية.**(كروم عبد الله، 2007: 21)**

دخول الإسلام إليها:

بعد أن وصلت جيوش المسلمين إلى المغرب ودخله الإسلام؛ وصل الإسلام إلى توات بفضل الدعاة والتجار واعتنقه أهلها وهذا مع مطلع القرن الثامن الميلادي فعكف الناس على حفظ القرآن، ونشطت به حركة العلم والفقه وعمّ فيه الخير والفضل. ولعل أقدم مسجد بتوات هو الموجود بقصر تيوت بمدينة تمنطيط والذي نقش على محرابه تاريخ 106هـ / 725م.

نبذة تاريخية عن مدينة تمنطيط:

كانت تمنطيط بعد وصول الإسلام لبلاد المغرب واحة نخيل وفيرة المياه يقصدها أصحاب القوافل التي تجوب الصحراء الكبرى، فتتزود منها

بما تحتاجه من ماء وتمر لمواصلة رحلتها؛ كما كانت تمثل في الوقت ذاته نقطة تتلاقى فيها القوافل القادمة من الشمال نحو أسواق السودان الغربي.

وعندما كانت مدينة تمنطيط ـ وأحوازها ضمن إقليم توات ـ في قلب الصحراء فقد أصبحت بمعزل عن الصراعات التي شهدها المغرب الإسلامي وخاصة بعد مغادرة الفاطميين إلى مصر، لذلك قصدها الكثير من الناس ملجأ لهم فراراً من الظروف المتردية في الشمال، وفضلوا السكن بها على الخضوع لحكامهم.

ومع منتصف القرن الثاني عشر الميلادي توجهت أعداد كبيرة من قبيلتي مغراوة وبني يفرن إلى الصحراء حيث نزلوا بالإقليم التواتي، واستمر هذا النزوح إلى تمنطيط وضواحيها بإقليم توات إلى غاية القرن الثالث عشر الميلادي أين وفدت على المنطقة جماعات من البدوالرّحل تنتهي إلى عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، عرفت بعرب المعاقيل، كانوا يتجولون بقطعانهم في مناطق شمال غرب الصحراء، مستقرين بين الحين والآخر داخل الواحات التي كانت تقع في مجالات سيرهم، إلى أن نجحوا في الإقامة بإقليم توات وتمكنوا من إثبات وجودهم بين ساكنيه وأضحت كلمتهم مسموعة ورأيهم مطاع.

ونظراً لما تميّزت به تمنطيط من توسع في المساكن وحركية في الأسواق وحيوية علمية ودينية لطلاب الشريعة وحفظة القرآن، فقد دان جميع الإقليم لها وأضحت عاصمة له ومقراً لقاضي الجماعة التواتية؛ وأضحى مشايخها يتمتعون بكامل الحرية في تسيير أمورهم الداخلية والخارجية دون تدخل خارجي؛ وإن كان نفوذ الموحدين ثم المرينيين قد امتد إليهم؛ فإن أمراء هاتين الدولتين اكتفوا بفرض ضرائب سنوية تقدم لهم مع تركهم على ما كانوا عليه يدبّرون أمورهم بأنفسهم.

ونظراً لأنّ مدينة تمنطيط تعتبر من أقدم مدن الإقليم، ولها منزلة كبيرة عند التواتيين لما اختصت به من كثرة أماكن الأولياء والزوايا المنتشرة بها؛ فقد ظلّت طيلة الفترة الحديثة تمثل قلب الإقليم التواتي ومركز

نشاطه وعاصمته ومقرًا لقاضي الجماعة التواتية إلى أن انتقلت الزعامة إلى مدينة أدرار مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، وظل الوضع كذلك إلى أن وقع الإقليم في أيدي القوات الفرنسية مع بداية القرن العشرين. **(فرج محمود فرج، 1977: 21)**

التركيبة السكانية لمدينة تمنطيط:

البربر:

يرى جل المؤرخين أنّ البربر هم أول من سكن تمنطيط قبل دخول الإسلام واستقروا بها وبواحات توات المجاورة لها؛ ولعل الحجة في ذلك أن أغلب تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم الزناتية.

العرب:

كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه، وممارسة التجارة. فاستقروا بالمنطقة وكان أولهم دخولاً عرب المعقل ثم تلتها قبائل أخرى كقبيلة الكنتة في ق7هـ وكان استقرارهم بزاوية كنتة وبعدهم قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية التي كان نزولها بتمنطيط وقد ذكرهم محمد الطيب بن عبد الرحمان بقوله: هم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سنة ومروءة ورياسة.

اليهود :

يرجع وجود اليهود بتوات إلى فترة ليست بالقصيرة؛ نزلوا بتمنطيط وتيطاف وتخفيف وتاسفاوت غير أن شوكتهم قويّت في تمنطيط فكثرت أموالهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق. فقد ذكرت المصادر أنه كان بتمنطيط وحدها ما يفوق 360سائغاً يهودياً يبيعون ويشترون في الذهب. ولا يفوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى ما قام به الشيخ المغيلي **لهو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ولد سنة 790هـ / 1425م، عالم وفقيه، قدم إلى توات عام 882هـ، ونزل بمدينة تمنطيط واتخذ منها قاعدة له للانطلاق نحو مناطق السودان الغربي لنشر الإسلام والقضاء على البدع الوثنية، واتصل بعدة أمراء لتكون عودته النهائية إلى أرض توات (أدرار)، وبها توفي سنة**

909هـ/1504م، بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن، بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة.] في إجلائهم وطردهم نهائياً من تمنطيط.

عندما وصل المغيلي إلى مدينة تمنطيط واطلع على أحوالها ورد عليه سؤال عن طائفة من اليهود كانت لا تنالها أحكام الأمراء المسلمين أين كانوا شبه مستقلين، خاصة وأن بعض علماء المنطقة قد أفتوا بالترخيص في التعامل والمصاهرة معهم ممّا نفى عنهم صفة الذّمية ودفع الجزية لبيت المال؛ ثم شرع اليهود أيامه في تجديد كنيستهم وتوسيعها فثار عليهم العامة، ووردت على قاضي المدينة [**هوا لشيخ عبد الله العصنوني، توفي عام 927هـ/1521م**] أسئلة من مختلف الجهات لكنه لم يجاريهم.... فبقي المغيلي يتتبع أحداث تمنطيط وراسل في شأنهم العلماء إلى أن ظهرت فتوى الإمامين السنوسي[**هومحمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني (1428. 1490م) عالم تلمساني في عصره له تآليف كثيرة**] والتنسي **هومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، مؤرخ من فقهاء تلمسان وأدبائها].** اللذين أيدا وجهة نظره في القضية، فحينئذ جمع أنصاره ودخل في ميدان تغيير المنكر بيده ولسانه فهدم الكنيسة وطرد كل اليهود المتواجدين بالمنطقة. وهوما ذهب إليه أغلب الباحثين وكلفه ذلك مقتل ابنه. وكان المغيلي إنسان مصلح وداعية أدخل الإسلام إلى عدة دول في إفريقيا. **(مقدم، م 2004، 25 ـ 38)**

العبيد:

كان العبيد يشكلون عنصراً هاماً في المجتمع التمنطيطي، انطلاقا من كونهم يشكلون عنصر متاجرة هام جداً، ويعرف رواجاً منقطع النظير في تلك الفترة، ولا سيما ما بين بلاد السودان الغربي والمناطق التلية، مروراً بتمنطيط، التي كانت تمثل بلدة تُحطُ بها رحال القوافل، ويتم فيها تبادل السلع، وتعرف أسواقها حركية وحيوية كبيرة.

دور تمنطيط في تجارة القوافل:

إنّ الموقع الذي حظيت به تمنطيط بتوسطها بين أسواق الشمال والجنوب، قد ساهم في تنشيط الحركة التجارية بأسواقها وصارت نقطة هامة لالتقاء التجار الوافدين إليها من شتى الاتجاهات مع قوافلهم المحمّلة بالسّلع المتنوعة للتبادل عليها. وبذلك وجد سكانها نصيبهم في المتاجرة بسلع هذه القوافل.

وعندما اشتد الطلب على شراء العبيد ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي **(الوزان،ح، 1983)** ازداد من ثمة إقبال تجار الشمال الغربي على أسواق توات وفي مقدمتها تمنطيط. بل لقد كان الإقبال على شراء الذهب الخام وريش النعام والعاج لا يقل أهمية عن تجارة العبيد، وكل ذلك متوفر بها. وظلت تمنطيط بأسواقها تلعب دورها الهام في تجارة بلاد المغرب وأقاليم السودان الغربي كمنطقة عبور واستراحة لقوافل التجارة القادمة من كافة الاتجاهات والعابرة للصحراء في نصفها الغربي، وبفضل إستراتيجية موقعها أصبح الوصول إليها لا يستغنى عنه ضمن مراحل سير القوافل خاصة المتجهة من والى أسواق تمبكتو.

اكتسب موقع تمنطيط هذه الأهمية التجارية داخل الصحراء منذ قيام دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي التي كانت لها اليد الطولى في انهيار إمبراطورية غانا، ومن ثم انحسار طرق التجارة الصحراوية بين المغرب الأقصى وغانا.**(محمود أحمد حسن، 1963: 233)** وازدادت أهميتها أكثر بعد نهضة مالي ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أصبحت غالبية قوافل التجارة المنطلقة من والى تمبكتو**[نشأت هذه المدينة على أيدي جماعة من الطوارق تدعى طوارق مقشر. وذلك في عام 490 هـ الموافق 1096 م بعد اضمحلال مكانة مملكة غانة الشهيرة لتكون ملتقي التجار.]** تسلك الطرق المؤدية إلى تمنطيط عاصمة إقليم توات؛لما تتوفر عليه من شروط الأمن والاستراحة وحيوية التبادل والماء والكلأ والأغراض المختلفة التي تحتاجها القوافل لمواصلة سيرها.

الطرق التجارية من والى تمنطيط:

كانت الطرق الصحراوية الرئيسية التي تتفرّع من تمنطيط؛ تتجمع في اتجاهين، شمالي وجنوبي.

الاتجاه الشمالي: يربط أسواق إقليم توات، انطلاقاً من تمنطيط بأسواق الشمال، ويتشكل من ثلاث طرق رئيسية. وهذه الطرق الثلاث تتشطر بدورها إلى ثلاث جهات ثانوية، الأول: شمالي شرقي، والثاني: وسطي شمالي، والثالث: شمالي غربي، ولعل هذا الأخير هوالأكثر حيوية، إذ كان يتبع مجرى وادي الساورة، وتسلكه القوافل المتجهة إلى الغرب الجزائري، وأسواق سجلماسة، وتافيلالت، ومراكش، وفاس بالمغرب الأقصى.

أما الاتجاه الجنوبي: فكان يربط تمنطيط عاصمة إقليم توات بأسواق السودان الغربي، وكان بدوره يتشكل من ثلاث طرق، الأول: جنوبي شرقي، والثاني: وسطي جنوبي، والثالث: جنوبي غربي، ولعلّ الطريق الثاني وهو الوسط الجنوبي كان الأكثر حيوية، حيث تسلكه القوافل المتجهة نحو مدينة تمبكتو عن طريق المبروك وأروان، وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمناً، ويُعدُّ من أقدم الطرق التي كانت تسلكها القوافل أثناء سيرها نحو أسواق السودان الغربي.

لم يقتصر دور تمنطيط ـ باعتبارها عاصمة لإقليم توات ـ في تجارة الصحراء على كونها محطة لاستقبال القوافل المارة بالصحراء فحسب، بل كانت بدورها تساهم بقوافلها في تجارة الصحراء، فقد جرت العادة أن تخرج في كل عام قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق مدينة تمبكتو، وتخرج القافلة الأولى في النصف الأول من السنة والثانية في النصف الثاني.

تنطلق

القافلة التواتية نحو مدينة تمبكتو وتستمر في سيرها المرحلي والطويل قرابة الشهر والنصف حتى تصل إلى وجهتها.

وفي الغالب تمكث القافلة هناك حوالي ثلاثة أشهر تستبدل أثناءها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تمبكتو، وتعود القافلة سالكة نفس طريق الذهاب.

أسواق تمنطيط:

حضيت الأسواق بأهميتها البالغة في الحياة الاقتصادية عند التواتيين عموماً وفي مدينة تمنطيط خصوصاً، فكانت الميزة الشهيرة للمدينة.

فقد كان سوق **تمنطيط** من أنشط أسواق الإقليم طيلة الفترة الحديثة أين كانت مدينة **تمنطيط** عاصمة للإقليم التواتي، وذلك قبل القرن الثامن عشر الميلادي؛ ويعدّ هذا السوق من أقدم الأسواق التواتية على الإطلاق، وقد أشار إلى ذلك محمد بن بابا حيدة، الذي قال في هذا الصدد: "... فاعلم أن مدينة **تمنطيط** اسم لمدينة في إقليم توات ولقد... انتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع... ويرد بها الظمآن... ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلا بسعرها..." **(بن بابا حيدة محمد، 1977: 14).**

المبادلات التجارية لتمنطيط مع الخارج:

لم يكن النشاط التجاري لمدينة تمنطيط وليد الفترة الحديثة بل مارسه سكان الإقليم التواتي منذ تاريخه المبكر، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله: ".... قبائل بين تلمسان ووجدة... تنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيط، وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت، وتوكورارين، وهذه كلها رقاب السفر إلى السودان **". (ابن خلدون، ع، د.ت.ط. 118)** .

نظرا لما اشتهرت به أسواق **تمنطيط** من انخفاض في الأسعار وتنوع في السلع، فقد أصبحت تجذب أيضا قوافل الحجاج العابرة للصحراء في طريقها إلى الأراضي الحجازية وكانت هذه القوافل تنطلق من مدن سجلماسة وتافيلالت وشنقيط كل عام، وتسلك أثناء سيرها نحو الشرق الطريق المار داخل إقليم توات، وغالباً ما تشتري هذه القوافل حاجتها من المؤن من الأسواق التواتية، فيقول العياشي عن ذلك: " إن كثيرا من الحجاج لما غلا

صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات بأن (كذا) الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر... ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك (السودان) شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نفقة (رائجة) في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف (المطرز) والحرير، فإن قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل." **(العياشي أبو سالم، 1977: 20).**

لم تكن تمنطيط تمثل خاتمة المطاف بالنسبة للقوافل القادمة إليها من التل، فهي تتجه إليها باعتبارها مركزًا تجاريًا نشطاً مع بلاد السودان، فهي ميناء صحراوي تتجمع فيه البضاعتان الثمينتان من بضائع العصر: الذهب والرقيق. (**الإدريسي 1862، 09**) وإن جميع القوافل التجارية القادمة من الشمال والمتجهة نحو بلاد السودان أو العائدة منها تمر بتمنطيط.

وكانت المبادلات التجارية لتمنطيط عاصمة الإقليم التواتي مع خارج الإقليم لا تكاد تخرج من المحاور الخمسة التالية: **(فرج محمود فرج، 1977: 70)**

- الأول: التبادل التجاري مع أسواق السودان الغربي.
- الثاني: مع أسواق تافيلالت وسجلماسة ومراكش بالمغرب الأقصى.
- الثالث: مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.
- الرابع: مع قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.
- الخامس: مع أسواق الشمال الجزائري.

وكان التجار التواتيون انطلاقاً من تمنطيط يتوجهون على رأس قوافلهم التجارية المحملة بالسلع **نحو** أسواق السودان الغربي، وكانت سلعهم تشمل:

الملح [**كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب، والذين يدفعونه للحصول على الملح. إذ يجب مقايضة الملح بالذهب والذهب بالملح.]** والقهوة والسكر والملابس المطرزة، والأسلحة النارية والتمور والحناء والشمة التواتية؛ يبادلونها هناك بالعبيد والذهب الخام **(البكري،**

د.ت.ط، ص 158.) وريش النعام والعاج والأقطان وغيرها، ويعودون بهذه السلع لعرضها بأسواقهم، وفي كثير من الأحيان يواصلون السير بها بعد ذلك إلى أسواق تافيلالت وسجلماسة ومراكش لمبادلتها بالخيل والأسلحة النارية والسيوف والفواكه المجففة والملابس المطرزة، ويعودون بهذه السلع لعرضها بأسواقهم، وهكذا.

أمّا القوافل التجارية القادمة من غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس،فإنها تضع حمولتها من قهوة وسكر وفلفل أحمر وصمغ عربي بأسواق تمنطيط، وكانت هذه السلع إما تباع داخل هذا السوق أو تحمل مرة ثانية للسير بها نحوأسواق السودان. ويذكر محمد الحشائشي في رحلته عن النشاط التجاري بين غات وتوات فيقول: " إن غات هي مركز عظيم للتجارة الصحراوية ومرسى السودان ولها تجارة كبيرة مع أهل توات **(الحشائشي، م، 1965: 20)**.

أما تجارة توات انطلاقاً من تمنطيط مع قبائل البربر والطوارق الضاربة جنوبها، فكانوا يأتون بالإبل والحمير وخراف الدمان والماعز لمبادلتها بالتمور التواتية والشمة والحناء.

في موسم جمع التمور **بتوات**، تأتي قوافل التجارة من الشمال الجزائري يقصدون أسواق تمنطيط في شهر ديسمبر من كل عام، يأتونها بالسلع الاستهلاكية والغذائية لمبادلتها بالمنتجات التواتية، وكانت هذه السلع تشمل السمن والزيوت والشحم والصابون والشمع والقمح والدقيق والفول الجاف وجزات الصوف وغزل القطن والفلفل الأسود وغيره.

هكذا كانت حركة القوافل التجارية دءوبة ونشيطة عبر مدينة تمنطيط على مدار السنة طيلة قرون من الزمن، تاركة بصماتها في تاريخ المنطقة تتداوله الأجيال جيلاً بعد جيل.

خاتمة

لقد ساهمت مدينة تمنطيط باعتبارها عاصمة لإقليم توات خلال العصر الحديث في تنمية كامل الإقليم الجنوبي الغربي للجزائر اقتصاديا

من خلال تجارة القوافل التي كانت محط رحالها من وإلى بلاد السودان الغربي، ومن وإلى الأقاليم الشمالية. فكانت صلة الوصل بين شمال الصحراء وجنوبها؛ محدثة تكاملاً اقتصاديا بين الإقليمين، أنعش الشمال، كما أنعش بلاد السودان الغربي.

كما ساهمت هذه المدينة في استقرار السكان بكامل إقليم توات لمّا انتعشت الحركة التجارية بأسواقه وازداد احتكاك أهله بالآخرين من الشمال ومن الجنوب.

وكان لها دورُ بارزُ في نشر الثقافة الإسلامية من خلال مراكزها الشهيرة، ولا سيما الزوايا والكتاتيب والمزارات التي انتقلت آثارها إلى بلاد السودان الغربي فكانت تحمل اللغة العربية، والدين الإسلامي، والدعوة إلى نشرهما.

من خلال مدينة تمنطيط كان أهل السودان الغربي يجدون بأسواقها ما يبحثون عنه من سلع، ويبيعون بها ما يتوفر ببلادهم. والأمر ذاته بالنسبة لتجار الشمال المتجهين إليها.

لقد ساهم ذلك كلّه في إحياء وازدهار بلاد السودان الواقعة ما وراء الصحراء الكبرى عمرانيًا وتجارياً، كما ساهمت هي أيضًا بفضل تصديرها للذهب والرقيق في تطوّر مدن الشمال.

لقد أحدث النشاط التجاري، حركة اتصال وتكامل اقتصادي بين المنطقتين خاصة في العصر الحديث، وكانت من نتائج ذلك أن تغيّرت ملامح المجتمع المغاربي، الذي أصبح يضم عناصر سكانية جديدة تتمثل في العنصر الأسمر الذي ساهم بدوره في التطور العمراني والاقتصادي للبلدان المغاربية.

المراجع:

- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد: (1977)، ماء الموائد (رحلة العياشي): مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1342، د.ت،ط، الجزء 1.

- كروم عبد الله: (2007)، الرحلات بإقليم توات، الجزائر، دار النشر دحلب.
- ابن بطوطة: (1980)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر.
- ابن خلدون، (دون ت. ط.)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي .
- الإدريسي : (1862)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، لندن، مطبعة بريل .
- الحشائشي محمد بن عثمان: (1965)، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق علي مصطفى المصراتي، لبنان.
- الموسوي مصطفى عباس: (1982)، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، العراق، دار الرشيد للنشر.
- الوزان الحسن، (1983)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج2، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- فرج محمود فرج: (1977)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد بن بابا حيدة: (1977)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمود أحمد حسن، (1963)، الإسلام والثقافة العربية في افريقية، ج1، القاهرة.
- مقدم مبروك: (2004)، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بافريقية الغربية في القرن 9هـ/ 18م، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.